تفريغ شرح الأصول الثلاثة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس الثالث)

(قام الشيخ بمراجعة التفريغ مع حذف وتقديم وتأخير بعض العبارات التي قد لا تتضح إلا بالسماع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد،

فهذا هو تفريغ الدرس الثالث لشرح متن ثلاثة الأصول، والذي قام بتفريغه بعض طلبة العلم الأفاضل –وفقهم الله لما يحبه ويرضاه –.

وهذا الدرس هو ضمن دروس (**سلسلة التأصيل العلمي**)، والتي يتم نقلها عبر **شبكة وإذاعة إمام دار الهجرة العلمية**، والتي سوف نأمل من الله تعالى أن يُيسِّر لـــمَن يُتابِعُها التَّدرُّج للوصول إلى مراحل متقدِّمة من مراحل العلوم الشرعية.

ومما ينبغي التنبيه عليه؛ أنَّه كما لا يخفى أنَّ الدروس المسموعة لا تكون في قوة التحقيق وذكر المسائل، كما يكون ذلك في التأليف والتصنيف، فإن الكلام كما يُقال: (وليد ساعته)، وقد حاولتُ أن أُراعي في هذا الشرح سهولة العبارة قدر المستطاع، وترك الخوض في المسائل التي لا تنفع طالب العلم في هذه المرحلة؛ وذلك لكي يتدرَّج الطالب شيئاً فشيئاً.

وقد قمتُ بمُراجعة هذا التفريغ مراجعةً سريعةً؛ لإصلاح الخطأ –وهو يسيرٌ جداً – وحذف ما تكرَّر من العبارات، وتعديل ما قد يُشكِل في القراءة دون السماع، وضبط بعض ألفاظه.

وختاماً؛ أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا التفريغ، كما أرجو أن ينفع بأصله المسموع، وأن يُجزِل الأجر والمثوبة لَمن قام بتفريغه، ونشره، وأن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأن يرفع به درجته عنده.

كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع به؛ مَن قرأه، أو نشره، أو أهداه إلى غيره، وأن يجعله حُجَّةً لي يوم ألقاه، وأن يغفر لي ما زلَّ به اللسان.

وإنَّني أرغب إلى إخواني، ومشايخي، ومَن يقف على هذا التفريغ، إنْ وَجَدَ به خللاً أن يُصلِحه، وأن يلتمِس لي فيه العُذر، وأن يكتب لي به لأُصلِحه، والله المستعان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتـــــــــــــــــبه الفقير إلى عفو ربه

حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي
غفر الله له ، ولوالديه، ولمشايخه ، ولأهل بيته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فهذا هو المجلس الرّابع من مجالس التّعليق على رسالة الإمام محمّد بن عبد الوهاب –عليه رحمة الله تعالى– رسالة الأصول الثّلاثة.

وبدايةً هنالك مسألة تتعلّق بالدّرس الماضي وهي مسألة متعلّقة بالولاء والبراء، نذكرها – إن شاء الله – لإتمام الفائدة حول هذه المسألة، فنقول: إنّ الولاء والبراء قد يصدر من المسلم للمسلم ومن المسلم للكافر.

والولاء إذا كان من المسلم للمسلم فهو يتفاوت بحسب تفاوت النّاس الذّين يُوالَوْنَ بحسب قربهم من الكتاب والسّنّة؛ فموالاة علماء التّوحيد والسّنّة ليست كموالاة عامّة النّاس، وهذا ممّا ينبغي أن يُعلم وأن يُفهم.

وأيضًا ممّا يُقال في ذلك: إنَّ الولاء إذا صدر من المسلم للكافر وهو على التّفصيل الذّي ذكرناه بالأمس فإنّه إمّا أن يكون من المولاة الكُفريّة الـــمُخرِجة من الملّة، وإمَّا أن يكون من الموالاة الـــمُفسِّقة.

فالموالاة الكفريّة كما ذكرنا : هي التّي تتعلّق بالدِّين .

والمولاة الفِسقيّة : هي التّي تتعلّق بأمرٍ من أمور الدّنيا.

وكذلك البراء نقول فيه: إنّ البراء قد يصدر من المسلم للمسلم، وقد يصدر من المسلم للكافر.

والبراء إذا صدر من المسلم للمسلم فيجب أن يكون بحسب بُعد هؤلاء الذّين يُتبرّأُ منهم في تفاوتهم في بُعدهم عن الكتاب والسّنّة، فالبراء من أهل البدع والأهواء ليس كالبراء من أهل المعاصي.

وكذلك البراء فإذا تبرَّأ المسلم من مسلم فإنما يكون التبرُّأ بحسب ما عنده، فقد يتبرأ من فعله ولا يتبرأ منه. وأما أهل الكفر وأهل الشرك فإنه يُتبرأُ منهم ومن أعمالهم.

والآية في ذلك في سورة الممتحنة واضحة في قصة إبراهيم كما قال سبحانه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾[1] الآيات، فلنا أسوة في إبراهيم عليه الصلاة والسلام في تبرُّئــه من قومه وهم من أقرب الناس له، ومع ذلك لم يمنعه قربه منهم ولا قربهم منه أن يتبرأ منهم ومما يعبدون إلا الرب العظيم سبحانه –تبارك وتعالى–، فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، فقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام: "كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله"، وفي الآية الأخرى في سورة مريم كما قال عليه الصلاة والسلام في تبرأه أيضا من قومه ومن والده حين ذكَّر والده قال: ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾ إلى أن قال : ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاًّ جعلنا نبياًّ﴾ .

فالبراء من أهل الشرك يكون من

- أهل الشرك .
- ومن فعلهم للشرك.
- ومما يشركون به.

[1] [الممتحنة: ٤]

وأما أهل المعاصي فالبراء منهم يتفاوت أيضاً، فالبراء من المجاهرين بالمعاصي ليس كالبراء من الذين لا يجاهرون بالمعاصي.

وكذلك البراء مــِمَّن يدعو إلى بدعته ليس كالبراء مــِمَّن لا يدعو إلى بدعته، فلا بُدَّ من الإنصاف، وأهل السنة هم وسط بين طوائف الإسلام.

طيب هذه إشارة قبل أن ندخل في التعليق على المتن الذي يفترض إن شاء الله أن نقرأ فيه اليوم، فكنا قد توقفنا عند نهاية المقدمة الثانية من رسالة الإمام محمد بن عبد الوهاب –عليه رحمة الله تعالى–.

قال – رحمه الله تعالى–:

[المتن]

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

[الشرح]

ذكرنا سابقا أن قوله "اعلم" كلمة يُراد بها لفت انتباه القارئ والمستمع.

قال: "أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ"، الرشاد: هو إصابة الحق، وهو ضد الغواية.

---

[2] [الذاريات:٥٦]

وقد أثنى الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[3] فنفى عنه صفات اليهود، ونفى عنه صفات النصارى. فإن النصارى كانوا كما أخبر –سبحانه وتعالى– ضالين، واليهود كانوا مغضوباً عليهم، لأن اليهود علموا و لم يعملوا، وأما النصارى فإنهم عملوا و لم يعلموا.

ولذلك كنا قد ذكرنا سابقاً مقولة سفيان –عليه رحمة الله تعالى–: "من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى".

قال: أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ"، الطاعة هي: الانقياد للأمر وفعله اختياراً لا كراهية.

كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[4] وأيضا قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[5] في سورة التوبة في خطابه للمنافقين، نقول: فالطاعة هي الانقياد للأمر وفعله اختياراً لا كراهية.

قال: "**اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**"، الحنيف في اللغة هو: المائل عن الشيء، وسمي الموحِّد حنيفاً لأنه مائل عن الشرك، كما قال –سبحانه وتعالى– عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6]

[3] [النجم: ٢]

[4] [آل عمران: ٨٣]

[5] [التوبة: ٥٣]

[6] [النحل: ١٢٠]

قال:" **أَنَّ الحَنِيْفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ**"، الملة هي: الدين، وذلك قال –سبحانه وتعالى– في رده على اليهود والنصارى: ﴿ **وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ** ﴾ فقال سبحانه: ﴿ **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[7] فاليهود كانوا يدعون الناس إلى التهود، والنصارى كانوا يدعون الناس إلى التنصر، فقال –سبحانه وتعالى–: ﴿ **بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**﴾: أي دين إبراهيم حنيفاً يعني: مائلاً عن الشرك، ﴿ **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ فأكَّد ذلك سبحانه فقال: ﴿**حَنِيفًا** ﴾، فهو عليه الصلاة والسلام مائل عن الشرك، وهو عليه الصلاة والسلام من أئمة التوحيد.

وهنا عبر المؤلف –عليه رحمة الله تعالى– بملة إبراهيم دون سائر الملل، فلم يذكر ملَّة نوح، و لم يذكر ملة لوط، و لم يذكر ملة موسى، و لم يذكر سائر الملل، وإنما ذكر ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أُرسل إلى العرب الذين كانوا ينتسبون ظلماً وجوراً إلى إبراهيم، كما صح ذلك عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ في البخاري ومسلم وغيرهما، وبلفظ ابن حبان، قال صلى الله عليه وسلم: " **عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّار فَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَ بْنَ لُحَيٍّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ**" يعني : أمعاءَهُ "**يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إِبْرَاهِيمَ ، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ** " وهذا لفظ ابن حبان، وأصل الحديث في الصحيحين، فهو (أول مَن غيَّر عهد إبراهيم) أي: دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وكذلك كان في الأرض أيضاً: اليهود والنصارى، يعني: أُرسل النبي صلى الله عليه وسلم في العرب، وكان اليهود والنصارى ينتسبون إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أيضاً، كما قال –سبحانه وتعالى–مخاطباً اليهود والنصارى: ﴿ **أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾ [8]

---

7 [البقرة: ١٣٥]

8 [البقرة: ١٤٠]

وقال سبحانه أيضا: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ فهم يحاجُّون في إبراهيم ويقولون: إن إبراهيم كان يهودياًّ، والنصارى كانوا يقولون: إنه كان نصرانياًّ، فقال لهم –سبحانه وتعالى-:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[9]

خاطبهم –سبحانه وتعالى- بعقولهم الرديئة، فاليهود يقولون: إن إبراهيم كان يهودياً، والنصارى كانوا يقولون: إن إبراهيم كان نصرانياًّ، فقال لهم –سبحانه- إبراهيم عليه الصلاة والسلام أُرسل قبل نزول التوراة والإنجيل، فكيف يكون يهودياًّ؟! وكيف يكون نصرانياًّ؟! ولذلك قال سبحانه بعدها بآيات قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[10]

وهنا أذكر شيئا من خصائل هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، لعلَّ في ذلك يكون سبباً في الاقتداء بهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[11].

هذا النبي الكريم يُسَمَّى بـأبي الأنبياء، لأن الأنبياء الذين كانوا من بعده كانوا من ذريته عليه الصلاة والسلام وعليهم الصلاة والسلام، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام اصطفاه ربه –سبحانه-، واختاره للخُلَّة، وابتلاه –سبحانه وتعالى- بأشدِّ أنواع البلاء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاء ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَل "، فقد ابتلي عليه الصلاة

9 [آل عمران: ٦٥]

10 [آل عمران: ٦٧]

11 [الأنعام: ٩٠]

والسلام، وهو بعد نبينا صلى الله عليه وسلم في المرتبة بين الأنبياء ، وهو عليه الصلاة والسلام أحد الرسل أُولي العزم الخمسة، وهم:

١. نوح عليه الصلاة والسلام.
٢. وإبراهيم عليه الصلاة والسلام.
٣. وموسى عليه الصلاة والسلام.
٤. وعيسى عليه الصلاة والسلام.
٥. ومحمد صلى الله عليه وسلم.

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، ومن شاهد ونظر إلى سَردِ القرآن للبلاء الذي ابتُلِيَ به هذا النبي الكريم –أعني إبراهيم عليه الصلاة والسلام– فإنه يرى من صبره وثباته على التوحيد ما استحق به تلك الخُلَّة عند ربه –عز وجل–، وقد قال سبحانه على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِين * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[١٢] يعني من الذرية الصالحة، قال سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ** ﴾ يعني بلغ هذا الغلام أن يسعى، ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[١٣]، وهذا أيضاً من التوحيد الذي قام في قلب إسماعيل عليه الصلاة والسلام، فقال –سبحانه وتعالى– بعد ذلك: ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾[١٤] كلنا يعرف قصة إبراهيم مع إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ولكن أنا أسرد هذه الآيات من أجل أن أذكر آخر هذه الآيات ونهاية هذه الآيات وخاتمة هذه الآيات، ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي**

12 [الصافات: ٩٩، ١٠٠]

13 [الصافات: ١٠٢]

14 [الصافات: ١٠٣]

الْمُحْسِنِينَ ﴾[15]، ثم قال سبحانه وهنا الشاهد الذي أريد أن أذكره: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ** ﴾[16] .

فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو ربه، يتأخر عليه الولد فيدعو ربه –عز وجل–، فيهبه ربه –سبحانه وتعالى– هذا الولد، فلما يبلغ هذا الولد، ويكبر، ويحتاج إليه والده، يأمره ربه –سبحانه وتعالى– أن يذبح ولده، ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ** ﴾.

وكذلك ابتلاه ربُّه –عز وجل– في أهله وزوجته، فأمره –سبحانه وتعالى– أن يسافر بزوجته هاجر أم إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، أن يسافر بها إلى مكة، وذلك لأن الله –عز وجل– أراد أن يخلِّص قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الدنيا، لكي يكون قلبه خالصاً لله –عز وجل–، فإن قلب الموحِّد الخالص الصافي النقي إذا امتلأ من حُبِّ الله –عز وجل– خرج من قلبه كل محبوب.

فلذلك أراد ربه –سبحانه وتعالى– أن يخلِّص قلبه من الدنيا، فيكون قلبه خالصاً لله –عز وجل–، وإن كانت هذه المحبة من المحبة الجائزة، وهي من محبة الدنيا الجائزة، ولكن هو كمال التوحيد الذي لا يكون إلا لأمثال هؤلاء عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك من نظر في سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم رأى من ذلك ما لا يصلح أن يذكر الآن، لطول المقام، وعدم مناسبة المقام، وإنما ذكرنا ذلك لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد ذُكر عليه الصلاة والسلام في سياق هذه الرسالة.

قال: " **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا**"، أمس نحن ذكرنا أن الدعاء ينقسم إلى قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة. وأما العبادة

15 [الصافات: ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥]

16 [الصافات: ١٠٦]

فأجمع تعريف لها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية –عليه رحمة الله تعالى– في مواضع، وهو قوله –رحمه الله تعالى– في معنى العبادة قال: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"، فكُلُّ ما يحبه الله ويرضاه فهو عبادة، سواء كان من أقوال القلوب وأفعال القلوب، أو كان من أقوال الجوارح وأفعال الجوارح، فهو من العبادات لله –عز وجل– وهذا ضابط من هذا الإمام –عليه رحمة الله تعالى– يضبط لك متى يكون هذا الفعل عبادة، ومتى لا يكون عبادة؟ .

قال: " **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ** "، أمرهم –سبحانه وتعالى– بذلك وهو في قوله –عز وجل–: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[17] وهذا خبر بمعنى الأمر، لأنه قد يقول قائل: أن هذا خبر وليس أمراً، فنقول: إن هذا خبر بمعنى الأمر، أي خلقتك لعبادتي فاعبدني، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾.

وكذلك في آيات كثيرة ذكرها الله –سبحانه وتعالى–: ﴿ **وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا**﴾ [18] وغيرها من الآيات الكثيرة، بل إن بعض أهل العلم يقول إن القرآن كُلُّه أمرٌ بتوحيد الله –عز وجل–، وذلك أن القرآن:

- إما أمر بالتوحيد.
- أو نهي عن الشرك.
- أو خبرٌ عمَّا حصل لأهل التوحيد أو أهل الشرك.

---

17 [الذاريات :٥٦]

18 [النساء: ٣٦]

- أو أمر بطاعة الله-عز وجل- وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. وطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عيه وسلم هي من مقتضيات التوحيد، ومن لوازم توحيد الله -عز وجل-.

قال -عليه رحمه الله تعالى-: "**وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ**". وهذا التفسير مذكور عن جمع من السلف، ويُذكَرُ عن ابن عباس، وبعض أهل العلم لا يثبته عن ابن عباس -رضي الله عنهما-. وعموماً هو منقول عن جمع من السلف، بأن معنى: (يعبدون) أي: يُوَحِّدون.

وقد تكلم في ذلك أهل العلم وفي المعنى الذي لأجله أُطلقت فيه اسم العبادة بمعنى التوحيد أو أريد به التوحيد ؟

نقول: نحن قد ذكرنا أن معنى توحيد الألوهية: إفراد الله بالعبادة. وهذا الأمر هو من جهة أنَّ العباد يتوجَّهون بتلك العبادات إلى الله تعالى-عز وجل- فهم بتوجههم بتلك العبادات إلى الله، قد أفردوا الله بالعبادة فلم يتوجَّهوا إلى غيره من المعبودات أو إلى غيره من الخلق بشيء من تلك العبادات، فتوجهوا بتلك العبادات إلى الله -عز وجل-.

وفي مقابل ذلك نقول: إنَّ توحيد الألوهية معناه أيضاً: إفراد الله -عزَّ وجل- بألوهيَّتِه أو إفراد الله -عز وجل- باستحقاق الأُلوهية. فالنظر هنا من جهة الرب -عز وجل- فهو سبحانه وحده الذي يستحق أن يُعبد، وهو وحده الإله الحق -سبحانه وتعالى-.

قال:

[المتن]

"وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوحِيْدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ"، وهذا تكلمنا عنه الآن قال: "وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ".

[الشرح]

هنا توضيح للشرك، تكلمنا سابقاً عن التوحيد، توحيد الألوهية وعن أقسام التوحيد بإجمال، وهنا نتكلم عن أقسام الشرك بإجمال.

نقول: إن الشرك إما أن يكون شركاً أكبر و إما أن يكون شركاً أصغر.

- الشرك الأكبر: هو ما كان فيه تنديد كامل وهو مخرج من الملة.
- الشرك الأصغر: هو ما لم يكن فيه تنديد كامل وهو غير مخرج من الملة.

طيب ما معنى تنديد كامل؟ نقول معنى تنديد كامل هو: تعبيد للعبد نفسه لغير الله –عز وجل–، فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح في حديث ابن مسعود قال: " **أَنْ تَجْعَلَ لِلّهِ نِدًا وَهُوَ خَلَقَك** ، يعني أن تجعل لله قريناً وهو سبحانه الذي خلقك، وذلك لـــمَّا سأله عن أكبر الكبائر فقال:" **أَنْ تَجْعَلَ لِلّهِ نِدًا وَهُوَ الّذِي خَلَقَك** ".

فالشرك الأكبر هو: ما كان فيه تنديد كامل، ففيه صرف كامل للعبادة لغير الله –عز وجل–، ولو كانت عبادة واحدة.

وأما الشرك الأصغر: فقد لا يبلغ به التنديد ما بلغ به في الشرك الأكبر، ولذلك يُعبِّر عنه أهل العلم بعبارة أخرى يقولون: هو ما سماه الشارع شركا ولا يُخرج من الملة.

والشرك الأكبر قد يقع من العبد في الاعتقاد، وقد يقع من العبد في العمل، وقد يقع من العبد في الأقوال.

الشرك الأصغر: كيسير الرياء، وهذه أظهر الصور التي يُعَبِّر بها أهل العلم؛ يسير الرياء، وكذلك من أنواع الشرك الأصغر؛ الحلف بغير الله –عز وجل–، وسائر شرك الألفاظ إذا لم يصاحبها اعتقاد قلب؛ مثل : (ما شاء الله وشئت)، وغيرها من الألفاظ التي نهت عنها شريعة الإسلام.

والشرك الأكبر قد يقع من العبد في الدعاء، وقد يقع من العبد أيضاً في النية والإرادة.

ولـــِحَصر هذه الأقسام هي أربعة؛ إذا نظرنا إلى الشرك الأكبر من جهة فعل العبد فهو على أربعة أوجه:

١. فإما أن يشرك العبد في الدعاء.

٢. وإما أن يشرك في الطاعة، فيُطيع المخلوقين في تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله مع اعتقاد أنه يسوغ لهذا العالم أن يُحلِّل ما حرَّم الله، أو يُحرِّم ما أحلَّ الله. ولا بُدَّ من ضبط هذه المسألة لكي لا يحصل انفلاتٌ في باب التكفير؛ لأن طالب العلم وخصوصاً المبتدئ قد يأخذ بعض القواعد العامة ويحاول تنزيلها على الناس.

٣. والرابع هو شرك المحبة وهو: إجلالُ وتعظيمُ غيرِ الله، مع كمال الذل والخضوع له، فهو كمال الإجلال والتعظيم، مع كمال الذل والخضوع، أي: كمال إجلال وتعظيم للمعبود، وكمال ذل وخضوع من العابد. فهذه المحبة إذا صُرفت لغير الله –سبحانه وتعالى– فلا شك أنها من الشرك الأكبر.

فالناظر إلى الشرك الأكبر يجد أنه لا يخرج عن هذه الأربعة. وسيأتي تفصيل هذه المسائل إن شاء الله في كتاب التوحيد بحول الله –سبحانه وتعالى–.

والله أعلى وأعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين